



إنهم أثرياء الحرب الذين تخجل الوحش من أفعالهم، لأن الوحش تتوحش من أجل البقاء، وهؤلاء يتتوحشون من أجل الثراء والمزيد من الثراء، فيتاجرون بألام الناس ويتاجرون بالدموع والدماء.
إنهم خطير كبير على الثورة لأنهم يحرمون جمهور الثورة من القدرة على الصمود.

لقد عصفت المحنةُ بالناس واحتدت ضراوتها وطال أمدها، فحيثما ذهب الماء في طول البلاد وعرضها وجد لاجئين ووجد جائجين ووجد مرضى ومسردين، وهؤلاء لا بد لهم من مأوى ولا بد لهم من طعام وعلاج، فإذا أغلقت في وجوههم الأبواب وضَنَّ عليهم بالمأوى أصحابُ الدور وبالمال أهلُ المال كادوا يعجزون عن الصمود والاحتمال.

ومن هؤلاء الناس؟ إنهم القاعدة التي تحمل الثورة والحاضنة التي تحضنها، وإن فيهم أهالي شهداء الثورة ومعتقلوها الذين غيبتهم اللحودُ والمعتقلات، وإنهم لآمانة في عنق الأحرار، بل إن فيهم عائلات المجاهدين الذين التحقوا بساحات الجهاد وتركوا أولادهم وزوجاتهم لله ولأصحاب المروءات.

كيف يمكن أن يعيش الناس الذين فقدوا الأموال والأملاك وشردوا في البلاد إذا صارت معاناتهم وعذاباتهم هي البضاعة التي يتاجر بها أبالسةٌ يتزيّن بأزياء التجار؟ كيف يعيشون إذا عجزوا عن دفع إيجار الدار، وإذا حرم رضيعهم من الحليب وقطع عن مريضهم الدواء؟

كل من يزيد معاناة الناس ويستغل حاجتهم فإنه عدو للثورة، وسوف يحاسب الشعبُ السوري أعداء ثورته جمِيعاً عاجلاً أو آجلاً، فيما من تناجرون بدماء السوريين وألامهم: استعدوا ليوم حساب قريب أو توبوا قبل فوات الأوان.

من أعداء الثورة مالكو العقارات الذين ضاعفوا الإيجارات أضعافاً مضاعفات، وقد كان الناس يشكون ارتفاع الإيجارات ويقادون يعجزون عن احتمالها قبل أن يرفعها أولئك الجشعون الفساة، فكيف يحتملونها اليوم مضعفَةً وقد انقطع الدخل وغاب المُعيل وتأكلت المدّخرات؟

ومنهم بائعو الطعام الذين يُخفون بضائعهم ويحتكرونها ليرفعوا أثمانها ويستغلوا قلة المتوفر منها في الأسواق، فتبين الأغذية في مستودعاتهم بلا آكلين ويبت آلاف الجائعين بلا طعام. ماذا نصنع مع أولئك الوحش من الفريقين؟ أنا لست قاضياً ولا مفتياً، ومن حسن حظهم أنني لست كذلك، فلو أنتي مُنحت حق الحكم عليهم لأمرت أن يقيّد الواحد منهم إلى شجرة أو عمود كهرباء، ثم يبقى في العراء سبعة أيام بلا غطاء ولا غذاء ليعرف معنى الجوع والبرد والتشرد في العراء.

ومنهم من ألف الجمعيات الوهمية فجمع المال باسم المنكوبين من السوريين ثم استأثر به فلم يوصل منه شيئاً، أو أوصل بعضه واستولى على بعض. ومنهم من دُفعت إليه المعونات العينية وحمل أمانة التوصيل فسلط عليها وراح يبيعها للمحتاجين بأغلى الأثمان.

هؤلاء وهؤلاء جنوا على الثورة جنائين، الأولى حين حرموا المحتاجين من الإعانات وزادوا عليهم ثقل المأساة، والثانية حين أفقدوا المانحين والمتربيين الثقة بمؤسسات الثورة الإغاثية فحرموها من خير كثير.

من أجل ذلك ينبغي أن يلتحقهم الشرفاء وأن يفضحوا خياناتهم للناس، وكما أجرموا جريمتين فأرجو أن يحاسبهم الله حسابين، ومن نجا منهم من حساب الدنيا فلن ينجو من حساب الآخرة بإذن الله.

ومنهم من لا يبالي أن يأكل بالباطل أموال اليتامي والأيامي من أولاد وزوجات الشهداء. لو علمت أن واحداً صنع ذلك أو اثنين لهان الخطب، وإنه لخطب عظيم، ولكنني ما أزال تصلي رسائل وشكاوي توالت فيها أخبار هذه الجرائم الفظيعة.

لو أن أولئك المعتدين قرؤوا القرآن لعلموا أن الذي يأكل مال اليتيم إنما يأكل في بطنه النار، ذلك لو أن الميت الذي ترك أولئك الأيتام مات حتف نفسه، فكيف وقد مات شهيداً في ميدان المعركة الأغر؟

ماذا يأكل في بطونهم من يأكلون حقوق زوجات وأولاد الشهداء؟

هل أعتدي لو دعوت عليهم؟

اللهم من أكل أموال الضعفة المساكين من بنات وأبناء الشهداء وزوجاتهم فاحرقه بنارين، نار الدنيا ونار الآخرة، واجعله عبرة للمعتبرين.

* * *

كيف تسمح لبعض الناس قلوبُهم وضمائرهم بأن يتاجروا بعذابات أولئك المعنّيين وألامهم ودموعهم من أجل المال والمزيد من المال؟ وددت أن أذكرهم بالله وبيوم الحساب الذي سيقفون فيه بين يديه، ولكنني لم أعتقد أن أحداً يؤمن بأخره وحساب يمكن أن يفعل تلك القبائح التي يعملون. وددت أن أخاطب قلوبهم وضمائرهم، ولكنني نظرت فرأيت أنهم بلا ضمائر وبلا قلوب.

وإلا فكيف تطرق بايَك يا من فقدت المرءَة والشرف وبايَا من فقدت الإحساس والضمير، كيف تطرق بايَك المرأةُ الضعيفة

تحمل بيدٍ رضيًّاً وتجر بالأخرى صغيرًا ووراءها ثلاثٌ يُنَيَّات، فتنهرها وتردها أو تُغلي عليها الإيجار أضعافاً مضاعفات، وهي لا تملك نصف أصل الإيجار ولا ربعة ولا ربع الرابع؟

لو أن يهودياً طرقَت هذه المرأة بابه لرق قلبه، ولكنكم - يا تجَّار الآلام - أسوأ من اليهود، أقسم بالله إنكم أسوأ من اليهود الذين نضرب بهم بالجشع والسوء الأمثال!

يا ألم اللئام ويا ذئاباً في أثواب البشر، كيف تطيب نفوسكم أن تستغلوا ضعف الضعفاء وحاجة المحتاجين من اللاجئين الفارِّين من المدن التي دمرها القصف وأكلتها النار؟ إنكم عار على سوريا، لا بل إنكم عار علىبني الإنسان، فليس إنساناً من يستغل حاجة أخيه الإنسان في مثل هذا المقام، ليس إنساناً من يضعف بلاء الناس من أجل المال. لا بارك الله في درهم يربحه تاجر جَشِّعٌ من أولئك الضَّعَفَةِ المساكين ولا دينار، بل أسأل الله أن يخسف به الأرض كما خسفها بقارون، حتى يطلع عليه الناس فيقولَ قائلُهم: وَيْ كَانَهُ لَا يَفْلُحُ الظَّالِمُونَ!

* * *

إذا كان أحد من هؤلاء اللئام في المناطق المحررة فإن على من يشكوهُم إلى القضاء أو من يمثله من هيئات شرعية وإدارات محلية، وعلى القضاء أن يعقد له محاكمة علنية وأن يُصدر في حقه الحكم الشرعي. وأحسب أن الشرع يوجب - في حالات الاضطرار التي تتعلق بالموت والحياة - أن تصادر العينُ التي يحبس صاحبُها نفعها عن الناس والبضاعةُ التي يحتكرها من دونهم وهم بأشد الحاجة إليها ولا بديل لهم عنها. أقول هذا اجتهاداً وليس حكماً، فإن هذه المسألة الدقيقة لا يفتني فيها إلا أهل العلم الثقات، فابحثوها وأخبرونا بحكم الشرع فيها يا أيها العلماء.

أما إذا كان المعتمدي في المناطق المحتلة التي ما تزال تحت سيطرة النظام فإن على الجماعة التي تعيش معه أن تضغط عليه لتصحيح موقفه، والجماعة المقصودة تشمل وجهاً الحي وكبار العائلة، بل وتشمل إخوته وأولاده وزوجته إن كانوا مخالفين لمنهجه وعمله. فإذا أصرَّ بعد ذلك كله فليس لنا إلا أن نشنُّ عليه حرباً نفسية ومعنوية بالنبذ والمقاطعة.

إن التاجر الآثم الذي يتاجر بالآلام الناس من حقه أن يُعرف ويُنشر في الناس، فيُقاطع ويُنبذ اليوم قبل سقوط النظام ويُقاطع ويُنبذ غداً بعد نجاح الثورة؛ لا محل لمثله بين الشرفاء، فلا تعاملوه - يا أيها الشرفاء - اليوم ولا تسامحوه في مقبلات الأيام.

الزلزال السوري

المصادر: